

جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

المادة/ البلاغة علم المعاني

المرحلة: الثانية بكالوريوس

ستاذ المادة: أ.د. فرحان بدري

٦ المحاضرة السادسة : مواقف الرازي و المحدثين من نظرية النظم

لعل نظرية النظم من اهم التطبيقات البلاغية عند الرازي في تفسيره الكبير، فهو يرى ان القرآن معجز بفصاحة الفاظه وشرف معانية فضلاً عن نظمه، يرى ان من قالوا ان القرآن معجز بأسلوبه ارادوا النظم بعينه كما يرى ان الفصاحة ليست راجعة الى الالفاظ بل انها تعود الى المعاني، وفي هذا يستمد الرازي رأيه من الجرجاني الذي اشار الى ان فصاحة الكلمات لا ترجع الى اللفظ وانما ترجع الى المعنى والنظم، واهتم الرازي بتطبيق نظرية النظم التي اخذها من الجرجاني لبيان الوجه البلاغي في ترتيب سور القرآن الكريم واستدل بها الى جانب الفصاحة في قضية الاعجاز وهذا الامر لم يصرح به الجرجاني ولا المفسرون من قبله، فكان المفسرون يبينون سبب مجيء آية بعد آية، ولكنهم لم يتخوا فيه موضوعاً قائماً بذاته، ولم يحاولوا ربط آيات القرآن الكريم^(١) ربطاً بلاغياً ولم يسموا ها نظماً، وانما استعملوا كلمة الفصاحة، وهكذا يفسر الفخر الرازي ترتيب الآيات في السورة، وترتيب السور في القرآن الكريم تفسيراً بلاغياً قائماً على نظرية النظم، وهذا من اضافات الفخر الرازي.

ونجد الرازي يستخدم نظرية النظم ويدافع عنها في حديثه عن وحدة النظم في القرآن الكريم، ومن خلال بيانه لترابط الآيات الكريمة.

(١) البلاغة تطور وتاريخ.

الترباط التام بين الآيات والسور

كان النظم عند الجرجاني هو تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض و نجد الرازي يطبق هذا على آيات القرآن الكريم وسوره لكن الرازي لم يقف عند نظم الآيات وترباطها في السورة الواحدة، بل تجاوز ذلك، فلاحظ الترباط في بعض السور وارتباطها بالسور التي تليها فقال: في تفسير اول سورة المطففين في قوله تعالى (ويل للمطففين) : (أعلم ان اتصال اول هذه السورة بآخر السورة المتقدمة ظاهر، لان الله تعالى بين في اخر تلك السور ان صفة يوم القيامة انه لا تملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله))^(٢) وذلك يقتضي تهديداً عظيماً للعصاة، فلماذا اتبعه بقوله: (ويل للمطففين) والمراد الزجر عن التطفيف)).^(٣)

ونجد الرازي يحاول ان يؤكد الترتيب والترباط بين الكلمات والآيات في اكثر من موضع ويحاول بيان ان قضية الترتيب وجه من وجوه اعجاز القرآن الكرمي، ويدرس الرازي قضية التركيب القرآني ويبرر هذه القضية البلاغية.

١٤. النظم يكون بتوخي معاني النحو

وكما مر بنا ان عبد القاهر يبين ان ضم الالفاظ يتبع نسقاً قرره النحو، واذا ضمت الالفاظ الى بعضها دون ان نتوخي فيها معاني النحو ولم يكن ذلك نظماً، نجد الرازي يتابع الجرجاني في القول (ان النظم عبارة عن توخي معاني النحو)^(٤) ولعل ابرز صورة لها التطبيق في تفسيره، تلك التي بين فيها الرازي

^(٢)سورة الانفطار: ١٩.

^(٣) التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، المطبعة البهية، مصر: ٣١-٣٥.

^(٤)دلائل الاعجاز: ٢٨٢.

مواضع التقديم والتأخير والحذف والاضمار وتقدير المضمرة في سبيل بيان الوجه الذي يستقيم فيه بناء الآية^(٥).

النظم والسراقات

ومن خلال نظرية النظم ينف الرازي الى نظرية نقدية في قضية السرقات الادبية فيقول ((ولا يغرنك قول الناس ان الشاعر اخذ المعنى من شاعر آخر فان هذا التسامح منهم، والمرادفات المعنى المدلول عليه بالدلالة المعنوية واحد، فأما ان يكون المدلول عليه بالدلالة الوضعية واحد فلك لا يكون الا الترجمة))^(٦) وقول الرازي هو استخلاص لرأي الجرجاني في باب اللفظ والنظم.

الصورة البلاغية عائدة الى النظم وليس لمجرد الاستعارة

ونجد الرازي يستلهم قول عبد القاهر ثانياً، ويذكر الامثلة التي ذكرها في هذا المجال فيذكر قول الشاعر:

سألت عليه شعاب الحي حين دعا انصاره بوجوه كالدنانير

يقول "فان شككت فاعمد الى الجارين والظرف، فأزل كلاً منهما عن مكانه الذي وضعه الشاعر فق: سألت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا انصاره، فانه يذهب الحسن والحلاوة))^(٧).

ونجد الرازي يذكر اقسام النظم وعد منها ثلاثة وعشرين وجهاً، ويستمد هذه الوجوه وامثلتها من (حدائق السحر في دقائق الشعر) للوطواط ومنها: المطابقة

^(٥) ينظر: الرازي بلاغياً: ٢٤٣.

^(٦) نهاية الايجاز: ١٠٩.

^(٧) دلائل الاعجاز: ٧٨.

والمزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء والاعتراض، والالتفات، والاقْتباس والتلميح، والتورية، والمبالغة، وحسن التعليل وغيرها))^(٨).

وهكذا يبدو ان الرازي قد لخص كتابي الجرجاني (دلائل الاعجاز) و(اسرار البلاغة) واستفاد من كتاب الوطواط والزمخشري وما كتب الرماني في رسالة (النكت في اعجاز القرآن)

لقد رسم الرازي في كتابه (نهاية الايجاز في دراية الاعجاز) منهجاً بلاغياً تأثر به من جاء بعده، والتزم الباحثون بهذا المنهج الا ما كان من تقديم أو تأخير في الابواب والفصول وزيادة في التحديد والتقنين المنطقي والفلسفي ومن الين تأثروا بالرازي السكاكي مؤلف مفتاح العلوم.

بلاغة علم المعاني موقف المحدثين من نظرية النظم

• المحدثون وموقفهم من رأي الجرجاني

درس الدكتور محمد مندور عبد القاهر الجرجاني دراسة موجزة، ولفت الانظار الى اهمية الرجل وما جاء به من آراء حول اللغة قريبة من نظريات علم اللغة المعاصرة.

واكد الدكتور محمد مندور ان **مذهب الجرجاني قريب من علم التراكيب عند الفرنسيين**، ((مذهب عبد القاهر هو اصح واحديث ما وصل اليه علم اللغة في اوربا لايامنا هذه، هو مذهب العالم السويسري (فردتان دي سوسير) الذي توفي ١٩١٣ ونحن لايهمنا، الان من هذا المذهب الخطير الا طريقة استخدامه كاساس لمنهج لغوي (فسيولوجي) في نقد النصوص)).

^(٨) ينظر: البلاغة تاريخ وتطور: ٢٨٢-٢٨٣.

وبيّن ان منهج عبد القاهر لم يفهم على وجه الصحيح، ولا استغل كما ينبغي ففي اوريا قامت نظريات واصول حول نظرية ان اللغة مجموعة من العلاقات المتشابكة واستخدمت هذه النظريات والاصول في: فلسفة اللغات، وفي نقد الادب، اما عندنا فقد غلب تيار البديع. تيار المعاني عند السكاكي ومن تلاه، وكانت في ذلك محنة الادب العربي)).

واما الدكتور محمد زكي العشماوي فقد ربط بين عبد القاهر والناقد الانجليزي ريتشاردز فقال: ((وشبهه ما انتهى اليه عبد القاهر الجرجاني في موضوع دلالات الالفاظ وارتباط بعضها ببعض بما انتهى [كذا] اليه كثير من النقاد والمحدثين فلو اننا قرأنا الفصلين الاولين من كتاب فلسفة البلاغة للناقد الانجليزي المعاصر أ.أ. ريتشاردز: لوجدنا ان كل ما يحاول ريتشاردز في هذين الفصلين لا يخرج عما قاله عبد القاهر من القرن الخامس الهجري فيما يتعلق بقضية النظم، وعلاقة الكلمات بعضها ببعض)).